

تفسير ابن كثير

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً^ط وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

يحذر تعالى عباده المؤمنين (فتنة) أي : اختبارا ومحنة ، يعم بها المسيء وغيره ، لا يخص

بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب ، بل يعمهما ، حيث لم تدفع وترفع . كما قال الإمام

أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا شداد بن سعيد ، حدثنا غيلان بن جرير ،

عن مطرف قال : قلنا للزبير : يا أبا عبد الله ، ما جاء بكم ؟ ضيعتم الخليفة الذي قتل ،

ثم جئتم تطلبون بدمه ؟ فقال الزبير - رضي الله عنه - : إنا قرأنا على عهد رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - : (واتقوا فتنة لا

تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة) لم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت

.وقد رواه البزار من حديث مطرف ، عن الزبير ، وقال : لا نعرف مطرفا روى عن الزبير

غير هذا الحديث .وقد روى النسائي من حديث جرير بن حازم ، عن الحسن ، عن الزبير

نحو هذا .وروى ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا مبارك بن فضالة ،

عن الحسن قال : قال الزبير : لقد خوفنا بها ، يعني قوله [تعالى] (واتقوا فتنة لا تصيبين

الذين ظلموا منكم خاصة) ونحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما ظننا أنا
خصصنا بها خاصة. وكذا رواه حميد ، عن الحسن ، عن الزبير ، رضي الله عنه . وقال
داود بن أبي هند ، عن الحسن في هذه الآية قال : نزلت في علي ، وعثمان وطلحة
والزبير ، رضي الله عنهم . وقال سفيان الثوري عن الصلت بن دينار ، عن عقبة بن صهبان
، سمعت الزبير يقول : لقد قرأت هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فإن نحن المعنيون بها :
(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) وقد روي
من غير وجه ، عن الزبير بن العوام . وقال السدي : نزلت في أهل بدر خاصة ، فأصابتهم
يوم الجمل ، فاقتتلوا . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : (واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) يعني : أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -
خاصة . وقال في رواية له ، عن ابن عباس ، في تفسير هذه الآية : أمر الله المؤمنين ألا
يقروا المنكر بين ظهرائهم إليهم فيعمهم الله بالعذاب . وهذا تفسير حسن جدا ؛ ولهذا قال
مجاهد في قوله تعالى : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) هي أيضا لكم ،
وكذا قال الضحاك ، ويزيد بن أبي حبيب ، وغير واحد . وقال ابن مسعود : ما منكم من

أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، إن الله تعالى يقول : (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) [التباين : 15] فأياكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن . رواه ابن جرير . والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم - وإن كان الخطاب معهم - هو الصحيح ، ويدل على ذلك الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن ، ولذلك كتاب مستقل يوضح فيه إن شاء الله تعالى ، كما فعله الأئمة وأفردوه بالتصنيف ومن أخص ما يذكر هاهنا ما رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا أحمد بن الحجاج ، أخبرنا عبد الله - يعني ابن المبارك - أنبأنا سيف بن أبي سليمان ، سمعت عدي بن عدي الكندي يقول : حدثني مولى لنا أنه سمع جدي - يعني عدي بن عميرة - يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن الله - عز وجل - لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكرين ظهرانيهم ، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة . فيه رجل مبهم ، ولم يخرجوه في الكتب الستة ، ولا واحد منهم ، والله أعلم . حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان الهاشمي ، حدثنا إسماعيل - يعني ابن جعفر - أخبرني عمرو بن أبي عمرو ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل ، عن حذيفة بن اليمان ، أن رسول

اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - قال : والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن اللّٰه أن يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم .ورواه عن أبي سعيد ، عن إسماعيل بن جعفر ، وقال : أو ليعثن اللّٰه عليكم قوما ثم تدعونه فلا يستجيب لكم .وقال أحمد : حدثنا عبد اللّٰه بن نمير ، قال حدثنا رزين بن حبيب الجهني ، حدثني أبو الرقاد قال : خرجت مع مولاي ، فدفعت إلى حذيفة وهو يقول : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم - فيصير منافقا ، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات ؛ لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتحاضن على الخير ، أو ليسحتنكم اللّٰه جميعا بعذاب ، أو ليؤمرن عليكم شراركم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم .حديث آخر : قال الإمام أحمد أيضا : حدثني يحيى بن سعيد ، عن زكريا ، حدثنا عامر ، قال : سمعت النعمان بن بشير - رضي اللّٰه عنه - يخطب يقول - وأوماً بإصبعيه إلى أذنيه - يقول : مثل القائم على حدود اللّٰه والواقع فيها - أو المدهن فيها - كمثل قوم ركبوا سفينة ، فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها ، وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا

على من فوقهم فأذوهم ، فقالوا : لو خرقتنا في نصيبنا خرقتنا ، فاستقيننا منه ، ولم تؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا . انفراد بإخراجه البخاري دون مسلم ، فرواه في " الشركة " و " الشهادات " ، والترمذي في الفتن من غير وجه ، عن سليمان بن مهران الأعمش ، عن عامر بن شراحيل الشعبي ، به . حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن علقمة بن مرثد ، عن المعرور بن سويد ، عن أم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إذا ظهرت المعاصي في أمتي ، عمهم الله بعذاب من عنده . فقلت : يا رسول الله ، أما فيهم أناس صالحون ؟ قال : بلى ، قالت : فكيف يصنع أولئك ؟ قال : يصيبهم ما أصاب الناس ، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان . حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج بن محمد ، أخبرنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن المنذر بن جرير ، عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما من قوم يعملون بالمعاصي ، وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيرون ، إلا عمهم الله بعقاب - أو : أصابهم العقاب . ورواه أبو داود ، عن مسدد ، عن

أبي الأحوص ، عن أبي إسحاق ، به . وقال أحمد أيضا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا
شعبة سمعت أبا إسحاق يحدث ، عن عبيد الله بن جرير ، عن أبيه ، أن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - قال : ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، هم أعز وأكثر ممن يعمله
، لم يغيروه ، إلا عمهم الله بعقاب . ثم رواه أيضا عن وكيع ، عن إسرائيل - وعن عبد
الرزاق ، عن معمر - وعن أسود ، عن شريك ويونس - كلهم عن أبي إسحاق السبيعي ،
به . وأخرجه ابن ماجه ، عن علي بن محمد ، عن وكيع ، به . [حديث آخر] وقال الإمام
أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا جامع بن أبي راشد ، عن منذر ، عن حسن بن محمد ، عن
امراته ، عن عائشة تبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - : إذا ظهر السوء في الأرض ،
أنزل الله بأهل الأرض بأسه . قالت : وفيهم أهل طاعة الله ؟ قال : نعم ، ثم يصيرون إلى
رحمة الله .